مدرسة الإسكندرية

دراسة عن كتاب « الأجبية» القبطية (٦)

القس باسيليوس صبحي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السادس - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٦

دراسة عن كتاب "الأجبية القبطية" (٦)

القس باسيليوس صبحي

دراسة عن كتاب "الأجبية القبطية" (٦)

القس باسيليوس صبحي
دكتوراه في العلوم اللاهوتيَّة - جامعة أثينا
باحث بالمركز الثقافي القبطي
hamaged@alexandriaschool.org

مقدمة:

اختتمنا في الحلقة السابقة من سلسلة مقالاتنا - دراسة عن كتاب "الأجبية القبطية" - عرضنا لموضوع تحليل محتوى الكتاب، وقبل أن ننتقل لدراسة جزئية أخرى من البحث، ألا وهى: مكانة كتاب صلوات السواعي في الرهبنة بمصر بصفة عامة سواء أكانت بحيرية أم صعيدية، لابد أن نجيب على تساؤل بديهي يتبادر للأذهان عند حديثنا عن العلاقة الوثيقة بين كتاب "الأجبية القبطية" والرهبنة، والسؤال هو: هل كانت معروفة فكرة الصلاة في ساعات مُعينة (مُحددة) في مصر قبل ظهور الرهبنة ؟ تلك الصلوات التي جُمعت فيما بعد في كتاب خاص بصلوات السواعي (الساعات) والمعروف في كنيستنا باسم كتاب "الأجبية" ؟ وإن كانت معروفة، فهل كانت بنفس الشكل أو بنفس الترتيب التي هى عليه الآن ؟.

والإجابة على هذا السؤال نستنبطها من مصادر عدة - تلك المصادر التى يستخدمها العلماء في محاولة كتابة التاريخ - وهى أوراق البردي Papyri والكثير من قطع الفخار Ostraca والعظام الحيوانية Bones والأخشاب Timber واللوحات Plates ... إلخ، والمحفوظة في العديد من مكتبات جامعات ومتاحف الغرب، ونشر العديد منها[١]. وأهمية هذه المواد أنها مدون

[1] W. E. CRUM, *COPTIC OSTRACA* FROM THE COLLECTIONS OF THE EGYPT EXPLORATION FUND, THE CAIRO MUSEUM AND OTHERS LONDON, 1902; H. R. HALL, *COPTIC AND GREEK TEXTS OF THE CHRISTIAN PERIOD FROM OSTRAKA, SKELAE, ETC*, LONDON 1905; W. E. CRUM, *SHORT TEXTS FROM COPTIC OSTRACA AND PAPYRI*, OXFORD UNIVERSITY PRESS 1921; W. E. CRUM & H. G. EVELYN WHITE, *THE MONASTERY OF EPIPHANIUS AT THEBES*, PART II, NEW YORK MCMXXVI; ELIZABETH STEFANSKI & MIRIAM LICHTHEIM, *COPTIC OSTRACA FROM MEDINET HABU*, CHICAGO 1952; ROGER REMONDON, *LE MONASTERE DE PHOEBAMMON DANS LA THEBAÏDE*, TOME II, GRAFFITI, INSCRIPTIONS ET =

عليها عشرات بل مئات النصوص والصلوات التي كانت مستخدمة في تلك الفترة أو بعدها، فعلى سبيل المثال: يحتفظ المتحف البريطاني بعدة قطع من ورق البردي مدون عليها عدد من الصلوات التى تتلى في صلوات الساعات مدونة بالقبطية، يرجع أقدمها لصدر القرن الرابع الميلادي[٢]. وفيما يلي سنقدم نماذج لهذه الصلوات مع التعليق عليها كلما أقتضت الحاجة، علماً بأننا سنعتمد على عمل Duffes[٣] في هذا المضمار.

١) صلاة الصبح:

"يا نور كل الذين فى الظلمات، يا محسنًا إلى كل الملتجئين إليك، يا مبدأ خلاقاً لكل الزروع يا بستانيًّا لكل نمو روحي، ارحمني يا رب واجعل منى هيكلاً بلا لوم. لا تنظر إلى خطاياي[٤]: لأنك إن رصدت خطاياي فلن أستطيع أن أقف في حضرتك[٥] لكن برحمتك الكبرى وتحننك العظيم اللامتناهى امح ادراني[٦]، بربنا يسوع ابنك الوحيد، طبيب أرواحنا الكلي قداسة. به ينبغى لك المجد والقوة والعظمة والسلطان إلى أبد الآبدين آمين".

هذه الصلاة محفوظة بمتحف برلين، تحت رقم P. O. 18/Y30، والملاحظ فيها أن فكرة الربط بين وصف الله بأنه مصدر النور في بداية اليوم (باكر النهار) متغلغلة في فكر الكنيسة منذ القرون الأولى للمسيحية[٧]،

OSTRACA, LE CAIRE 1965; ANNE BOUD'HORS, *OSTRACA GRECS ET COPTES DE BAOUIT*, INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHEOLOGIE ORIENTALE, BIBLIOTHEQUE D'ETUDES COPTS 17- 2004.

[٢] رمزي تادرس، *دائرة المعارف القبطية*، الجزء الأول، مطبعة صادق بالمنيا، ب ت، ص ١٠١.

[3] *Jean Louis Duffes S. M. A., La Prière Quotidienne dans L'Église Copte, Collection "Liturgie et Catechese, Cahier n° 4, Institut Catéchétique de Caire, Le Caire 1974.*

[٤] تث ٩ : ٢٧، «... لا تلتفت الى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته».

[٥] المزمور ١٣٠ (١٢٩ بالأجبية): العدد ٣، «إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمن يقف».

[٦] المزمور ٥١ (٥٠ بالأجبية): العدد ٩، «استر وجهك عن خطاياي وامح كل آثامي».

[٧] من أشهر الآباء الذين تحدثوا عن هذه الفكرة: القديسين: إبيفانوس أسقف سلاميس بقبرص (haer. 33.7 (p. 457.6; M. 41.568 B)]، وإكليمندس الإسكندري [(str. 1.24 (p. 102.17; M.8.909 C)]، سرابيون أسقف تمي

وهى بعينها الفكرة الموجودة بالكنيسة الآن (راجع قِطع وتحليلي صلاة باكر). كما نلاحظ في هذه الصلاة أنها صلاة كتابية المصدر شأنها في ذلك شأن جلّ القطع والصلوات القديمة كما سبق وأشرنا في حلقة سابقة[٨].

٢) صلاة المساء:

"ندعوك أيها الرب الإله، أنت العالم بكل شيء ولا يخفى عنك شيء، يا رب الحقيقة. أنت خلقت العالم وتسهر على كل كائن. أنت تقود من كانوا جالسين في الظلمة وظلال الموت على طريق الحقيقة. أنت تريد أن تخلص جميع البشر وتعرفّهم الحقيقة[٩]. كلنا معًا من كل قلوبنا وأفواهنا. أنت تنازلت ودعوتنا وعلمتنا ووهبتنا الحكمة والفهم في الحقيقة للحياة الأبدية. أنت افتديتنا بالدم الثمين والطاهر الذي لابنك الوحيد بعد أن كنا عبيدًا. أنت خلصتنا من الشيطان ومنحتنا المجد والحرية. كنا أمواتًا وجعلتنا نولد من جديد بالروح في أجسامنا وأرواحنا. كنا متسخين وأعدت لنا النقاوة.

نسألك يا رب المراحم وإله كل تعزية لكي ثبتنا في دعوتنا في العبادة والأمانة. نكرس أنفسنا لكلامك الإلهي وناموسك المقدس. نحن الذين نريد اليوم أن نقترب منك. اجعل نفوسنا مضيئة كي نستطيع أن نعرفك ونخدمك. نسألك أن تمنحنا القوة لنتّمم إرادتك المقدسة ولا نذكر الخطايا التي ارتكبناها والتي نواصل اقترافها. انس الأخطاء التى أثمنا بها إليك نهارًا وليلاً. لا تؤاخذنا على نقائصنا الإرادية واللاإرادية. اذكر يا رب أننا نسقط بسهولة. نحن ابناءك ـ ضعفاء فى الطبيعة وفى وسائل ... ثبتنا يا اللّه الساهر بقوتك. أضئ أنفسنا بتعزيتك. أهلّنا لحقائق

الأمديد في قداسه [euch. 13.5]، غريغوريوس النزيانزي [or. 44.3 (M.36.609B)]، يوحنا ذهبي الفم رئيس أساقفة القسطنطينية [hom. 18.1 in I Tim. (II.654 C)] وغيرهم كثيرين.

[٨] راجع: د. ماجد صبحي، "دراسة عن كتاب الأجبية القبطية (٣)"، مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الثالث، سبتمبر – ديسمبر ٢٠٠٩، ص ١٦٣–١٦٨.

[٩] «الذي يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون» (١تي ٢ : ٤).

الإيمان التي بشر بها رسلك القديسون ولتعاليم الإنجيل العجيبة التي لمخلصنا يسوع المسيح ليس فقط بالقول إنما أيضا بالعمل وبكل سلوكنا بحيث تكون أعمالنا أهلا للمكافأة. امنحنا أن ننظر ونبحث ونتأمل خيرات السماء لا خيرات الأرض. لكي بقوتك ونعمتك نقدر أن نعطي المجد للسلطان الكلي القدرة، والكلي القداسة واللائق له التسبيح في المسيح يسوع الابن المحبوب مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين".

هذه الصلاة محفوظة في بردية من الأشمونين بمتحف برلين تحت رقم P. 13415، وهى صلاة مصرية صميمة، وكتابية المصدر كما سبق وشرحنا فيما سبق.

٣) صلوات توسل إلى الله المخلص:

"يا الله القدير الذي صنع السماء والأرض وكل ما عليها هلم لمعونتي وارحمني واغفر خطاياي أنقذني في الوقت الحاضر والمقبل بربنا ومخلصنا يسوع المسيح (الذي) به يليق لك المجد والقدرة إلى الدهور آمين ".

هذه الصلاة ترجع لأواخر القرن الثالث أو بداية القرن الرابع (بردية البهنسا).

"يا الله الأبدي الذي لا يخفى عليه شيء الذي يعرف كل شئ قبل حدوثه أنت لا تشاء موت الخاطئ بل رجوعه إليك[١٠] حولّ نظرك إلى شقاء عبدك الخاطئ والمذنب البائس ".

هذه الصلاة محفوظة على قطعة فخار بمتحف القاهرة تحت رقم 8193 b.

"يا كل خلائق الله العجيبة لا تصمتي نهاراً ولا ليلاً. وأنتِ أيتها الكواكب المضيئة وأيتها الجبال الشامخة ويا هوّه البحار ويا ينابيع الأنهار السريعة حينما نرتل أناشيدنا: الآب والابن والروح القدس. فليردد

[١٠] ٢ بط ٣ : ٩، «وهو لا يشاء ان يهلك أناسًا بل ان يقبل الجميع الى التوبة».

كل ملائكة السماء: آمين آمين آمين القدرة والتسبيح والمجد والإكرام الأبدى لإلهنا المعطى الوحيد لكل نعمة آمين آمين آمين".

"فيك الرحمة يا رب. المجد لك قدوس الله يامن شاء أن يولد طفلاً صغيراً من عذراء. قدوس القوي يا من أراد أن يرتاح على ذراعي مريم. قدوس الذى لا يموت يا من جاء ليخلص آدم من الجحيم أيها المسيح الله ارحمنا".

هذه الصلاة محفوظة بمتحف بروكسل تحت رقم 10952[11].

"غير المائت تألم من أجلنا كثيرًا ... هلم لمعونتنا يا ابن الله المولود من العذراء ... قدوس (أنت) يا الله قدوس وغير مائت يا من صلبت عنا ارحمنا".

هذه الصلاة وجدت على تابوت مصري بسوريا.

٤) بعض القطع الثيؤطوكية:

"أهدي السلام إليك يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معك وكذا الروح القدس (معكِ)... سلام إلى العذراء المجيدة المملوءة نعمة ! الرب معك مباركة أنت فى النساء ومباركة ثمرة بطنك. أنت حملت المسيح ابن الله مخلص نفوسنا".

هذه الصلاة وُجدت محفوظة على قطعة فخار ترجع للقرنين السادس أو السابع الميلاديين، بواحد من الأديرة القبطية، ولعلها هي الأساس للقطعة المعروفة باسم "السلام لكِ" والتي تبدأ بالعبارة **ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲧⲉⲛϯⲑⲟ ⲉ̀ⲣⲟ ...**، التي تتلى في رفع بخوري عشية وباكر بعد الثلاث تقديسات والصلاة الربانية وقبل الذكصولوجيات، وتسمى اصطلاحًا مقدمة الذكصوجيات. ومما هو جدير بالذكر أن التقليد القبطي القديم ينسبها لأحد تلاميذ القديس أثناسيوس[12].

---

[11] Crum, *op. cit.*, p. 39.
[12] Duffes, *op. cit.*, p. 111.

كما اُكتشفت قطعة فُخَّار أخرى في الأقصر ترجع لنفس الفترة السابقة الذكر (القرنين السادس أو السابع الميلاديين)، قدمت لنا نصًّا أوسع لتلك القطعة، وهى محفوظة الآن بمكتبة ستراسبورج بفرنسا تحت رقم ٦٦٩، وفيما يلى نورد ترجمة لنصها:

"سلام يا ممتلئة نعمة الرب معك، اخترت إناء نقيًّا ثمينًا إلى الأبد لتقبلي الله فيك. وجدت نعمة عند الله. وستلدين ابنًا وتسمينه يسوع وسيخلص الشعوب ويسمى ابن الله ... يا مباركة بين النساء الرب تكلم معك. أعلن لك البشرى السعيدة: بابنك سيخلص جميع أسباط يهوذا وكل شعوب الأمم ... مع رئيس الملائكة والملائكة فنكرمها جميعًا: سلام يا أم الله أم المخلص، يا حمامة نزعت الموت عن الناس ... سلام لمن قبلت الله وقبلها الله في السماء سلام للعذراء، سلام لمريم سفر العذارى سفر النور الأبدى سلام سلام".

وقبل أن نختتم هذه الجولة السريعة، نود أن نكون قد أجبنا على الأسئلة التى قد طرحناها في المقدمة، ومن ثم تعرفنا على نوعية من نماذج هذه الصلوات المكتشفة على القطع الأثرية المتنوعة، والتى كانت مستخدمة قديمًا كصلوات تتلى في أوقات معينة من اليوم، قبل أن يصل كتاب الصلوات الليلية والنهارية لصورته المتعارف عليها اليوم.

وفي نهاية هذا العرض نقدم هذا النموذج من الصلوات المستوحاة من أقوال الآباء، فهذه القطعة التالية مأخوذة من عظة للقديس أثناسيوس الكبير (الرسولي) موضوعها بشارة أم الله، وهذا نصها:

"إذا كان لدينا بعض القوة، إذا كان لدينا بعض التسبيح، فلنقدم وكل الخلائق معنا، نشيدًا إلى المملوءة نعمة إلى الملكة إلى أم الله التابوت المقدس. فأنه منذ طلوع فجر هذا اليوم ورئيس الملائكة يبدأ التسبيح صارخًا: سلام لك يا ممتلئة نعمة الرب معكِ".